١٥- باب قول الله تعالى :

﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك. حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع. ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض. وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه. فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها عن لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» (١).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة. أو قال رعدة .شديدة خوفاً من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجداً. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»(٢).

---

١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٠١) ، (٧٤٨١) ، (٤٨٠٠) .

٢) ضعيف ، أخرجه ابن أبي عاصم وابن أبي حاتم وابن خزيمة في التوحيد وابن جرير في التفسير .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية:ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً ما تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة. تفسير قوله: ﴿قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ .

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبرائيل يجيبهم بعد ذلك بقوله: « قال كذا وكذا ».

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبرائيل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات بكلام الله.

العاشرة: أن جبرائيل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً.

الثالثة عشرة: إرسال الشهاب .

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يَصدُق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة، ولا يعتبرون بمائة؟

التاسعة عشرة:كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة، ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات، خلافا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوف من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدا.

الشرح:

قال المؤلف. رحمه الله تعالى. باب قول الله جل وعلا : {**حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**} هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله تعالى بعد أبواب ذكر فيها الأدلة على بطلان عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، فمن الناس من يعبد الصالحين ومنهم من يعبد القبور ومنهم يعبد الملائكة ، والملائكة هم أعظم المخلوقات ، وأسماها منزلة، وكذلك الملائكة ادعى المشركون أنهم بنات الله ، فعبدوهم لأنهم – على حد زعمهم – بنات الله ، فالملائكة عبدت لعظمها وعبدت لادعاء بعض الناس من أهل الشرك أنهم بنات الله جل وعلا ، فعقد المؤلف هذا الباب ليبين أن أعظم المخلوقات وأقربها منزلة عند الله جل وعلا وهم الملائكة {**يخافون ربهم من فوقهم**} يخافون الله جل وعلا {**ويفعلون ما يؤمرون**} فهذه المعبودات التي عبدتموها وتقربتم لها بالطاعات والقربات ومنها الملائكة تخاف من خالقها، فتخاف من رب عظيم كبير متعال جبار، بل إن الملائكة {**يسبحون الليل**

والنهار لا يفترون}، فلم يقل يسبحون في الليل، وإنما قال {**يسبحون الليل والنهار**} فدل على أنهم طيلة الليل يسبحون وطيلة النهار يسبحون ، ثم قال {**لا يفترون**} أي لا يتعبون من التسبيح ولا الذكر.

إذا أعظم المخلوقات وأقربها منزلة تسبح خالقها وبارئها ليلاً ونهاراً بلا فتور وبلا تعب ، فما بالكم – الخطاب لأهل الشرك- تعبدون هؤلاء وتصرفون العبادة لهؤلاء الملائكة وهم مشغولون بعبادة الله رب العالمين، في كل أوقاتهم.

فعقد المؤلف هذا الباب ليبين بطلان عبادة الملائكة التي تعبد من دون الله ويبين حال الملائكة مع الله جل وعلا، وقد بين هنا طرفاصاً يسيراً جداً ، وإلا فإذا أحببنا أن نستطرد في هذا الباب ونبين أحوال الملائكة لاحتجنا إلى عدة أبواب ، وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو نعيم وهو حسن :(أطت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع شبر في السماء إلا وفيه ملك راكع أو قائم أو ساجد)

قوله : باب قول الله تعالى {حتى إذا فزع عن قلوبهم} هذا جزء من الآية رقم ٢٣ في سورة سبأ قال الله جل وعلا: {**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**} ، {**ولا تنفع الشفاعة عنده**} أي:عند الله جل وعلا ، {**إلا لمن أذن له**} ، أي بشرطها ، وشرط الشفاعة الإذن والرضا عن الشافع والمشفوع فيه ، وأن تكون في وقتها ؛ والمؤلف سيعقد باب الشفاعة بعد هذا الباب ، فذلك لم يأت بهذه الجزء من الآية ؛ وإنما ذكر هذا لأن المشركين كانوا يطلبون الشفاعة من الملائكة ؛ فبين أن الشفاعة لا تنفع عنده إلا بشرطها ، وشرط الشفاعة هو الإذن والرضا والمشفوع فيه وأن تكون في وقتها .

{**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**} ثم قال عن الملائكة {**حتى إذا فزع عن قلوبهم**} أي حتى إذا زال الفزع عن قلوب الملائكة ، و الحديث الذي معنا يبين أن الملائكة فزعت وأخذها الفزع وشدة الخوف عندما سمعت وحي الرب جل وعلا إلى جبريل بالأمر منه جل وعلا و{**كل يوم هو في شأن**} سبحانه وتعالى ، فإذا سمعوا الوحي خافوا خوفاً شديداً حتى أصابهم الغشيان أو ما يشبه الإغماء أو الصعق أو نحو ذلك كما سيأتي في الحديث ، وسجدوا خوفاً من الله الواحد القهار.

وقد يكون هذا الخوف من أجل أنهم خافوا أن تقوم الساعة أو من وجود عذاب أو نحو ذلك ، والله أعلم ، لكن إذا سمعوا الوحي أخذهم الصعق والخوف الشديد الذي يأخذ قلوبهم ، يصعقون عندما يأمر الله جل وعلا بالوحي {**حتى إذا فزع عن قلوبهم**} أي لما زال الفزع والخوف الشديد عن قلوبهم، أفاقوا ورفعوا رؤوسهم وقالوا {**ماذا قال ربكم**} يقول بعضهم لبعض أو يقول جبريل.. {**قالوا الحق**} أي : أن الله جل وعلا يقول الحق سبحانه وتعالى ، وهنا محذوف : قالوا يعني قالت الملائكة جواباً على سؤال الملائكة الآخرين : قال الله الحقَّ، ولا يقول ربنا جل وعلا إلا الحق سبحانه وتعالى {**وهو العلي الكبير**} العلي الأعلى، علي سبحانه وتعالى بذاته فوق عرشه وعلي بصفاته ، فله أنواع العلو الثلاثة ، علو القدر وعلو القهر وعلو الذات .

الفرق الأخرى توافق أهل السنة في إثبات علو القهر وعلو القدر ولكن خالفوا أهل السنة في إثبات علو الذات ، فأهل السنة يقولون بأن الله جل وعلا بذاته فوق عرشه المجيد ، فوق سماواته سبحانه وتعالى ، والفرق الأخرى على اختلافها تقول

بأن الله جل وعلا ليس على العرش، بعضهم يقول في كل مكان ولا مكان ، وبعضهم يقول لا فوق العرش ولا تحت العرش ولا بجانب العرش ولا داخل العالم ولا خارج العالم كما يقوله الأشاعرة ، فأهل السنة يثبتون لله جل وعلا أنواع العلو الثلاثة علو القدر وعلو القهر وعلو الذات ، أو تقول علو الصفات وعلو الذات ، وهذه من المسائل الكبار التي خالف فيها أهل السنة أهل البدع وهي من مسائل الاختبار والابتلاء.

فإذا أحببت أن تعرف من أمره مشكل عليك تسأله أين الله؟ فإذا قال لك هذا سؤال منكر وأنت بهذا فاسق أو خارج من الشريعة أو نحو ذلك فاعلم أنه على عقيدة المعطلة وإذا قال لك الله في السماء كما قالت الجارية للنبي صلى الله عليه وسلم وقال لسيدها : «أعتقها فإنها مؤمنة»(١) .

فاعلم أنه على عقيدة أهل الإيمان وأهل السنة ، و العلو عليه أكثر من ألف دليل كما قال ابن القيم وكما قال ابن أبي العز، فأدلة العلو تتعدى الألف دليل قد جمع الكثير منها الحافظ الذهبي حيث ألف كتاباً جمع فيه كثيراً من أدلة العلو اسمه {العلو للعلي الغفار}(٢).

وهذه الآية الكريمة فيها إثبات القلوب للملائكة ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾ فالقلوب جمع قلب والمقصود بها هنا قلوب الملائكة فهذا يدل على أن الملائكة لهم أجساد ، وقد جاء في القرآن أن لهم أجنحة وفي السنة كذلك ، قال تعالى ﴿**جاعل**

---

١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٣٣ – (٥٣٧) .

٢) وهذا الكتاب مطبوع في مجلدين طبعته دار الوطن، والشيخ الألباني اختصره في مجلد اسمه مختصر العلو للعلي الغفار.

الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على خلقته التي خلقه الله عليها مرتين : (مرة في الأفق الأعلى في قصة المعراج ومرة في بطحاء مكة، رآه في الأفق له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق } ، يعني تنظر لا تجد شيئاً أمامك فقد سد الأفق.

إذاً فهذه الآية الكريمة تثبت أن الملائكة لهم قلوب وأجساد وأجنحة وغير ذلك، وهذا يرد على الذين يقولون بأن الملائكة مخلوقات لا عقول لها، وهذا كلام باطل ليس عليه أثارة علم والأدلة والنصوص ترده.

الدليل الأول :

قوله : {وفي الصحيح}([1]) أي صحيح البخارى وقد رواه في عدة مواضع .

{عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء} أى إذا أراد الله جل وعلا أن يقضي أمراً ، أي شأناً من الشؤون في السماء .

« **ضربت الملائكة بأجنحتها**» وهذا يدل على إثبات الأجنحة للملائكة « **خُضْعَاناً لقوله** » أو « **خَضَعاناً** » ضبطها الحافظ ابن حجر بالوجهين خَضَعانا بفتح الخاء والضاد المعجمتين أو خُضْعانا يعني خاضعين ، أي حال كونهم خاضعين لله الواحد الأحد سبحانه وتعالى ، إذا قضى الله جل وعلا بالأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضوعا لله للملك، الذي هو ملك السماوات والأرض سبحانه وتعالى .

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٧٠١) ، (٧٤٨١) ، (٤٨٠٠) .

قوله ..«**كأنه سلسلة على صفوان**» الصفوان هو الحجر الأملس الناعم، عندما تأتي بسلسلة كبيرة غليظة وتجرها على حجر أملس يخرج له صوت عال جداً.. «**كأنه سلسلة على صفوان**» أي يسمعون صوتاً كصوت جر السلسلة على الحجر الأملس الناعم، وهو صوت شديد، و أهل العلم على قولين في تفسير هذا الصوت ، فبعضهم يقول إن المقصود بالصوت هنا صوت أجنحة الملائكة عندما تضرب بها ، خضعاناً وخاضعة لأمر الله جل وعلا ، وبعضهم يقول إن هذا الصوت هو صوت الوحي ، لأن الله جل وعلا يتكلم بكلام يسمع ، سمعه موسى عليه السلام ، ويسمعه جبريل ، ويسمع في السماء ويسمعه من أراد يوم القيامة ، وفي صحيح البخاري « **يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: " يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّار** »(١) فالله جل وعلا يتكلم بصوت يسمع ، فقالوا إن المسموع هنا هو صوت الوحي ، هذان القولان موجودان في كتب أهل العلم وهما قولان لأهل السنة في تفسير هذا الحديث .

قوله : « **ينفذهم ذلك**» يعني يبلغ منهم كل مبلغ ، فهذا الصوت يصل منهم إلى كل مبلغ في قلوبهم ﴿**حتى إذا فزع عن قلوبهم**﴾ بعد هذا الصعق الذي يصيبهم يُزال هذا الفزع عن قلوبهم ويفيقون مما أصابهم من الغشي .

قوله : ﴿**قالوا ماذا قال ربكم**﴾ إذا كان أعظم المخلوقات خلقة وأقربهم منزلة تخاف من الله جل وعلا هذا الخوف الشديد الذي يبلغ بهم هذا المبلغ ، فما بال الإنسان المسكين الضعيف الذي لا يساوي في جناح الملك لا أقول شعرة بل لا يساوي ذرة في

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٤٨).

جناح واحد من أجنحة الملك، فما بال هذا الإنسان الضعيف الهزيل متمرداً على ربه ، يحارب ربه جل وعلا بالمعاصي في أقواله وأفعاله ، فقد جاء في «سنن أبي داود» من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**» (١) **وفي رواية :** «**بخفق الطير**»(٢) يعني بسير الطير .

إذاً الإنسان عندما يسمع هذا الكلام يعرف قدر نفسه ويعرف عظمة ربه جل وعلا، ويعرف أن الله رفعه بالإيمان والقرآن ، وجعل له الجنان والفردوس بالإيمان الذي في قلبه ، والتوحيد الذي يوحد به ، فيخضع لعظمة الله جل وعلا ، ويبتعد عن معصيته سبحانه وتعالى .

قوله : ﴿**قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**﴾ فيها إثبات الكلام لله جل وعلا، ﴿**قالوا الحق**﴾ أي قال ربنا القول الحق ، وهنا فائدة أخرى في إثبات الصفات ؛ الفائدة الأولى إثبات العلو، الفائدة الثانية إثبات صفة الكلام التي ينفيها المعطلة ويؤولها الأشاعرة فيقولون بأن الله جل وعلا لا يتكلم الآن ولا يتكلم بعد ذلك وإنما تكلم بكلام نفسي قديم أزلي في الأزل ، لم يسمعه أحد ، فكيف يكون الكلام لا يسمعه أحد؟ هل هناك كلام لا يُسمع؟ لا يسمعه أحد أبداً، فهذا مذهب الأشاعرة ، إذن ما هذا الذي بين أيدينا من القرآن؟ قالوا هذا عبارة عن كلام الله ، أما الجهمية والمعتزلة فقالوا هذا الذي بين دفتي المصحف مخلوق ، ونسبته للرب كنسبة

---

١) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٧٢٧) .
٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٦٥٠٣) .

بيت الله وناقة الله وسماء الله وأرض الله وخلق الله، خلقه كما يخلق سائر المخلوقات، فهؤلاء أراحوا أنفسهم ولجؤوا إلى التعطيل المباشر، أما الأشاعرة فلجؤوا للتأويل كعادتهم.

فإذاً من هذا الحديث نثبت صفة الكلام للواحد الأحد.

قوله : «**فيسمعها مسترق السمع**» من الجن أو الشياطين التي تصعد إلى السماء لتسترق السمع والذي يسترق الشيء هو الذي يأخذه خُفْية بسرعة ، و مسترق السمع هؤلاء جن أو شياطين وكانوا كثيرين جداً قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يصعدون إلى السماء كما قال تعالى حاكياً عنهم ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع**﴾ كل واحد له مكان- مقعد- ﴿**فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً**﴾ فسلط الله عليهم بعد البعثة الشهب ، والشهاب هو جزء من النجم على قول ، والقول الآخر : الشهاب هو النجم ، فالقول الأول أن الشهب هي النيازك ، والنيازك قطع من النجم تنفصل وتطارد الشيطان لكي تصطدم به فيحترق بها ؛ وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لهم الشهب ، وقل استراق السمع بعد البعثة ، ولكنه لم ينقطع ، وبعد انتهاء البعثة النبوية لا يزال موجوداً ولكنه قليل بنص هذا الحديث ، قال «**ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض**» يعني الجن أو الشياطين مثل السلم بعضهم فوق بعض ، وهكذا «**وبدد سفيان بين أصابعه**» يعني حرف بين أصابعه، حرفها أي أمالها، فهم فوق بعض ، كل هذا لكي يسمعوا ماذا يدور في السماء من الوحي وبماذا يوحي الله جل وعلا من أمره لملائكته ، فالذي هو في الأعلى يسمع الكلمة، فيدركه الشهاب، فقد يأتيه الشهاب قبل أن ينقل هذه الكلمة للجن أو

الشيطان الذي تحته وقد يدركه الشهاب بعدما يلقيها، فالكلمة هذه كل شيطان ينقلها للذي تحته حتى تصل لآخر واحد فيلقيها إلى الكاهن أو الساحر الذي يتعامل معه ، «**فيكذب معها**» هذا الساحر يأتي له الرجل المسكين لكي يعرفه حالته وقصته وما عنده «**فيكذب مع هذه الكلمة مائة كذبة**» فيذكر له شيئاً من الذي سمعه من الجني ويصنع له عليه قصة مع أكاذيب ويلفق أكاذيب ليس لها أي أساس ، فالرجل يسمع هذا الكلام ويمشي من عند الساحر، فيجد أن هذه الكلمة التي ذكرها له الساحر حصلت له ، ويترك باقي الكذب الذي أخبر به الساحر ويصدق و يتعلق بهذه الكلمة فقط ، ويقول : هذا الساحر أو هذا الكاهن كلامه صحيح ، لذلك سيعلق المؤلف على هذه تعليقاً جيدا بأن الناس يتركون كثيراً من الباطل من أجل شيء من الحق.

قوله : «**فيسمعها مسترق السمع** » وهو الذي يريد أن يسمع الكلمة من السماء ويسرقها بسرعة وخفاء «**هكذا بعضه فوق بعض**» وهذا يدل على كثرة الجن والشياطين .

«**وصفه سفيان**» وهو سفيان بن عيينة الإمام الكبير المحدث أبو محمد الهلالي ([1])، «**وصفه سفيان بكفه فحرفها**» يعني أمال كفه «**وبدد بين أصابعه**» يعني فرق بين أصابعه ، يقول إنهم فوق بعض هكذا ، هذه فوق هذه فوق هذه إلى أن يصلوا إلى السماء الدنيا، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، والكاهن هو الساحر، وبعضهم يقول الكاهن

[1]) سفيان بن عيينة ولد في الكوفة سنة سبع ومائة، ونشأ في مكة، ثقة حافظ مفسر فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربما دلس عن الثقات مات سنة ثمان وتسعين ومائة. (انظر: تقريب التهذيب ١٢٨) .

هو الذي يدعي معرفة الأمور التي تحصل في المستقبل ، أو الذي يخبر عما في الضمير، أوفي النفس ، وبعضهم يقول الساحر والكاهن والعراف اسم لمسمى واحد وهم الذين يدعون معرفة الأمور بمقدمات أو بالاستعانة بالجن وبالشياطين ونحو ذلك وسيأتى في كذلك باب مستقل إن شاء الله تعالى .

قوله : «**فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مئة كذبة**» يكذب مع هذه الكلمة مئة كذبة ، هل هو يكذب فقط مئة أو أكثر أو أقل؟

الظاهر أن هذا العدد المقصود به المبالغة ، فقد يكذب مئة وقد يكذب ألفًا فالناس يأخذون بالكلمة الواحدة التي صدق فيها ولا يهمهم أنه كذب ألف مرة أو ألفين ، لا يهمهم هذا .

قوله : «**فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا**» يقول :هذا فلان يزعمون أنه دجال قال لنا مرة كلاماً وكان صحيحاً، «**أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» فالناس يثقون في هذا الدجال وهذا المشعوذ بسبب كلمة ألقاها إليه الشيطان.

قوله : « **وعن النواس بن سمعان** » سِمعان أو سَمعان بالفتح والكسر الكلابي الصحابي رضي الله عنه « **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماواتِ منه رجفة »** {**رجفة**} هنا : فاعل، والسماوات: مفعول به ، أصل العبارة أخذت رجفةٌ السماواتِ فالسماوات مفعول به مقدم ، أو قال: «**رِعدة**» أي : رعشة ، ورجفة أو رعدة « **شديدة خوفا من**

الله جل وعلا فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد » في هذا الحديث إثبات الإرادة لله جل وعلا ، والإرادة نوعان : إرادة كونية وإرادة شرعية ، فالإرادة الشرعية تتعلق بما يحبه الله جل وعلا ويرضاه ، والإرادة الكونية تتعلق بما شاء الله جل وعلا أن يقع في كونه سواءً أحبه أم لا مثل كفر الكافر ومعصية العاصي وطاعة المطيع وغير ذلك.

قوله : « **ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله جل وعلا**» هذا الحديث فيه ضعف ، أخرجه ابن أبي عاصم وابن أبي حاتم وابن خزيمة وابن جرير في التفسير، وفيه علتان : العلة الأولى : الوليد بن مسلم، وهو ثقة مدلس وقد عنعنه ، وكذلك فيه نعيم بن حماد الخزاعي الإمام الكبير لكنه صدوق وله مناكير وله أخطاء، فهذا الحديث ضعيف عند أهل العلم والحديث الذي قبله قد يغني عنه ، وبعض هذا الحديث له شواهد، من تلك الشواهد ما في «صحيح مسلم» في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة ، حديث رقم ٢٢٢٩، وهو حديث طويل عن ابن عباس الشاهد فيه ، قال : « **إذا قضى الله أمراً سبح حملةُ العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال ، قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا** » يعني كل واحد منهم يطلب من الآخر أن يخبره ماذا قال الله جل وعلا « **حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا** » كل جماعة من الملائكة تخبر الجماعة التي دونها « **حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء الدنيا ، فتخطف**

الجن السمع ، فيقذفون إلى أوليائهم » الحديث ، وهذا شاهد لبعض ما جاء في حديث النواس بن سمعان ، وحديث أبي هريرة كذلك فيه شاهد لبعض ما جاء فيه.

وعلى كل تقدير فالحديث الأول كاف فيما أراد المؤلف ، فغاية ما في هذا الحديث الثاني إثبات رجفة السماء ورعدة السماء ، وجاء في كتاب الله جل وعلا أنه ما من شيء إلا يسبح قال تعالى ﴿**وإن من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ وجاء في الحديث الصحيح أن الصحابة كانوا يسمعون تسبيح الطعام ، من ذلك حديث الجذع الذي بكى عندما تركه النبي صلى الله عليه وسلم فرقي المنبر، وهذا الجذع بكى لأنه فقد النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان يتكئ عليه ويخطب ويعظ عند هذا الجذع ، والأدلة على تسبيح الكائنات كثيرة ، فليس هناك إشكال في المعاني الموجودة في الحديث، لكنه من ناحية الإسناد حديث ضعيف.

قال: فيه مسائل:

«**تفسير الآية**» سبق الكلام على تفسيرها .

«**الثانية**»: **ما فيه من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً ما تعلق على الصالحين**» فالناس الذين يتعلقون بالصالحين ويعلقون آمالهم ودعواتهم على الصالحين «**وهي الآية التي قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب**» لأنه أبطل أن يكون لله جل وعلا شريك أو ظهير أو وزير حتى الشفاعة ليست لأحد إنما الشفاعة بيد الله جل وعلا ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ ، ﴿**من الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ فحتى الشفاعة التي هي آخر ما يتعلقون به نفاها الله جل وعلا إلا أن تكون بإذنه جل وعلا فهو الذي يملكها بشروطها التي ذكرناها.

«الثالثة»: تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ .

«الرابعة»: سبب سؤالهم عن ذلك.

«الخامسة»: أن جبريل عليه السلام يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا» .

«السادسة»: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام.

«السابعة»: أنه يقول لأهل السماوات كلهم لأنهم يسألونه.

«الثامنة»: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

«التاسعة»: ارتجاف السماوات بكلام الله» وهذا كما قلنا في حديث النواس بن سمعان .

«العاشرة»: أن جبريل عليه السلام هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله جل وعلا» لأنه رئيس الملائكة، والأمين على وحي الله جل وعلا .

«الحادية عشرة»: ذكر استراق الشياطين للسمع» سبق الكلام عليها

«الثانية عشرة»: صفة ركوب بعضهم بعضا» حتى يصلوا إلى السماء

«الثالثة عشرة»: إرسال الشهاب.

«الرابعة عشرة»: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

«الخامسة عشرة»: كون الكاهن يَصْدُق بعض الأحيان.

«السادسة عشرة»: كونه يكذب معها مائة كذبة.

«السابعة عشرة»: أنه لم يصدَّق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»

فلولا أنه سمع هذه الكلمة التى أخذها من الجني لم يكن هناك أحد يصدق هذا الكاهن أو الساحر .

«الثامنة عشرة»: قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمئة»

وهذه أن بعض الناس قد يرى شخصًا دجالًا كذابًا لكن يأتي في تزييفه وكذبه بشيء واحد يسير يجعل الناس يثقون به ويتركون كل ما قاله من الزيف والكذب والبهتان ، كذلك قد تجد بعض الأحزاب أو الجمعيات أو الجماعات عندها كثير من الباطل لكن عندها شيء من الحق يسير، يقول لك والله فلان رأيته يطعم المسكين أو فلان رأيته يقرع بيوت اليتامى يعطيهم الطعام في أيام المواسم أو غير ذلك ، وفلان هذا قد يكون مرابيًا ، قد يكون نصابًا، قد يكون صوفيًا، قد يكون رافضيًا، وقد يكون حزبياً قد يكون جهميًا معطلًا ونحو ذلك ، لكن لما رأوا منه تلك الحسنة قالوا فلان هذا لم نر أحسن منه ؛ لأننا رأيناه يساعد امرأة أرملة أو إنساناً يتيماً ونحو ذلك وتركوا ما عنده من الباطل الكثير، فالشيخ هنا يقول إن النفوس مستعدة لقبول الباطل، فأخذوا من الكلمة الواحدة التي ذكرها الجن أو الشيطان للساحر وتركوا كل الكذبات التي كذبها .

«التاسعة عشرة»: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها» فيقولون لبعضهم فلان هذا الذي ذهبنا له قال لنا كلمة لما مرت الأيام وجدنا كلامه صحيحًا، يحفظونها ويستدلون بها

«العشرون»: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة»

وقلنا إن هذا الحديث أو هذا الباب فيه إثبات ثلاث صفات: الصفة الأولى: صفة العلو، الصفة الثانية: صفة الكلام ، الصفة الثالثة: صفة الإرادة ، «**خلافا للأشعرية المعطلة**» الشيخ يقول الأشعرية المعطلة لأنهم يثبتون سبع صفات ويعطلون الباقي ويثبتون صفات أكثرها سلوب على تفصيل . وإلا فالمعطلة الأصلية هم الجهمية

«**الحادية والعشرون**»: **أن تلك الرجفة والغشي خوف من الله عز وجل**»

يقصد رجفة السماء وغشي الملائكة إنما هو لخوفهم من الملك الجبار القهار سبحانه وتعالى، السماوات ترتجف منه والملائكة تخافه جل وعلا، فكيف لهذا العبد الضعيف المسكين أن يبارز الله جل وعلا بالمعصية وهذا العبد الضعيف المسكين من الممكن أن يقتله فيروس صغير جداً لا يُرى بالميكروسكوبات ولا حتى بالآلات الحديثة، هذا العبد المسكين قد لا تجعله ذبابة يذوق نومًا ، وهو يبارز الله جل وعلا بالمعاصي ويعصي الله جل وعلا ليلاً ونهاراً .

الأخيرة «**الثانية والعشرون**»: **أنهم يخرون لله سجدا**» أن الملائكة تخر سجدا لله سبحانه وتعالى خوفاً منه وخضعاناً له، ومن خشيته مشفقون، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الخوف منه وأن يجملنا بالتقوى والإخلاص.

والله أعلم .